منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم

(دراسة تطبيقية على الحوارات والمناظرات)

د/ أمنية محمد عبد الجواد أبو يوسف

مدرس الدراسات الإسلامية

كلية الآداب– جامعة السويس

ملخص

تناول البحث أحد أهم خصائص المنهج الدعوى عند إبراهيم عليه السلام فى ضوء القرآن الكريم وهو منهج التدرج فى الدعوة إلى الله، من خلال عرض منهجية التدرج فى المواجهات الدعوية الفردية والجماعية لإبراهيم عليه السلام، فعرض البحث لخطوات التدرج فى دعوة إبرهيم لأبيه آزر عندما ألزم نفسه باللين والرفق والتودد والاحترام، ثم مع ملك زمانه والذى ناظره بقوة وتحول معه من دليل إلى دليل حتى أفحمه.

أما المواجهة الدعوية الجماعية فتتمثل فى حواره عليه السلام مع عبدة الأصنام وعلى شكل السؤال والجواب، وتدرجه معهم لتغيير المنكر باليد وتحطيم الأصنام بهدف اجتماع الناس حوله لإقامة الحجة عليهم ببطلان ما هم عليه.

ثم استدراجه عليه السلام لعبدة الظواهر الطبيعية بإظهار موافقته على ما هم عليه؛ ليتمكن من مجاراتهم وإبطال أدلتهم والوصول بهم إلى الإيمان بالله والكفر بالكواكب والنجوم .

واختتم البحث بالدروس الدعوية المستفادة من التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام.

ABSTRACT

The research deals with one of the most important character rustics of the method of the call to Ibrahim peace be up on him in the Koran through the collective call and the individual call the search shows gradient steps in Ibrahim's call to his father soft, gentle and respectful and the king that he said, I" am a god, he gave his face strong look, the king could not replay and the confront the collective call by dialogue with those who worship idols by question and the answer he dialogue also the people who worship the sun and the planets to reach the faith of god.

Search finished by learning the lessons learned of the gradient in the call of Ibrahim peace be upon him.

المقدمة:

إن الدعوة إلى الله تعالى هى وظيفة الرسل جميعاً، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله، وإفراده بالعبادة على النحو الذى شرعه لهم، قال تعالى " **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**"(١)، وقال سبحـانه " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**"(٢).

وأنبياء الله مشاعل الهدى ومنابر النور فى الدعوة إلى الله، وقد بين الله تعالى أن فى قصصهم عبرة ودروس فقال تعالى " **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** "(٣).

وقد عرض القرآن الكريم عدداً كبيراً من صور الدعوة إلى الله من خلال عرض عدد من قصص الأنبياء ومواقفهم مع أقوامهم فى دعوتهم، وتنوع الحال مع الملوك كفرعون والنمرود، والأغنياء المتكبرين كقارون وقوم عاد، والأب مع ابنه كنوح عليه السلام، والابن مع والده كإبراهيم عليه السلام، ومع زوجة نوح ولوط؛ كل هذا ليكونوا قدوة ونبراساً للدعاة السائرين فى هذا الطريق.

وإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء ومؤسس الحنفية، وأحد أولى العزم من الرسل، وقد أمر الله تعالى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم باتباع ملته قال تعالى" **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" (٤).

ولقد كثر ذكر إبراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم حتى ورد ذكره فى خمس وعشرين سورة من القرآن، فقد فصل القرآن واستقصى لأساليب دعوة إبراهيم عليه السلام المتنوعة فى عرض دعوته وحواراته ومناظراته مع أبيه وقومه وملك زمانه بأبلغ أسلوب وبأدق عبارة؛ ليجد فيه الداعية النموذج المثالي فى تنوع الطرائق والسبل فى اقناع المدعوين والتدرج بهم لترويضهم على قبول الدعوة.

ولما وجدت عند كثير من الباحثين عناية واضحة بمنهج إبراهيم عليه السلام فى الدعوة فقد رأيت أن أطرق جانبا مهما من جوانب دعوته عليه السلام وهو جانب التدرج فى الدعوة بالتطبيق على حواراته ومناظراته مع أبيه وقومه وملك زمانه فى القرآن الكريم، وسوف أعرض لهذا التدرج الذى سار عليه نبى الله إبراهيم من خلال تدرجه فى دعوته لقومه أفرادا وجماعات واعتماد أسلوب مختلف لكل مواجهة دعوية ، ووسمت هذا البحث بـ :منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم (دراسة تطبيقية على الحوارات والمناظرات).

وتأتى أهمية الموضوع من ناحية أن التدرج مرتكز أساس من مرتكزات الخطاب الدعوى، وهو أحد خصائص المنهج الدعوى لإبراهيم عليه السلام، فقد دعا أبيه وقومه وملك زمانه سالكاً معهم سبيل الجدال باللين والرفق والتدرج معهم شيئاً فشيئاً إلى قراره بتغيير المنكر بالقوة متحملاً منهم الأذى والتكذيب؛ لأن تغيير الأفكار والمعتقدات يحتاج إلى التدرج مع الصبر والعمل الدائم.

وقد اخترت هذه الدراسة للأن التدرج فى الدعوة إلى الله من أهم الخصائص التى تيسر قبول الدين وتحمل تكاليفه وتطبيقه فى الوقت الحاضر والتى زخرت بها دعوة إبراهيم عليه السلام فى مراحلها المختلفة من خلال حواراته ومناظراته.

كما وقفت على عدد من البحوث التى تطرقت للتدرج فى الدعوة إلى الله بالعموم ولكنى لم أقف على بحث يطرق هذا الجانب من الدعوة بخصوص فى حوارات ومناظرات إبراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم كدراسة تطبيقية تحليلية.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلى فى جمع النصوص الواردة فى القرآن الكريم والتى تمثل دعوة ابراهيم عليه السلام وتصنيفها، ثم الرجوع إلى كلام المفسرين ووقفاتهم وتحليلهم لهذا المفهوم فى التدرج من اللين والملاطفة ثم الحوار الهادئ ثم الجدال واستدراج الخصم بالحجة والبرهان ثم الانتقال أخيراً إلى تغيير المنكر باليد، ولكثرة الآيات الواردة فى القرآن عن دعوة إبراهيم عليه السلام فقد اكتفيت بالتطبيق على الحوارات والمناظرات التى أبرزت جانب التدرج فى دعوته مع أبيه وقومه وملك زمانه.

ويهدف هذا البحث إلى توجيه الدعاة إلى أهمية العناية بالتدرج فى الدعوة إلى الله وأنه الطريق الأمثل فى الدعوة بالاقتداء بنبى الله إبراهيم عليه السلام، مع بيان أهمية هذا المسلك فى

دعوة غير المسلمين إلى الإسلام والحاجة الملحة إليه فى هذا العصر، وإلقاء الضوء على الدروس الدعوية المستفادة من تدرج دعوة إبراهيم عليه السلام على المستوى الفردى والجماعى.

هذا وقد قتضت طبيعة البحث أن يأتى فى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث ثم النتائج والتوصيات.

المقدمة : وبينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهجى فى البحث .

التمهيد : وفيه تعريف بأهم المصطلحات الواردة بالبحث مع بيان أهمية التدرج فى الدعوة إلى الله.

المبحث الأول: منهجية التدرج فى الدعوة الفردية عند إبراهيم عليه السلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر.

المطلب الثانى: منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام لملك زمانه.

المبحث الثانى: منهجية التدرج فى الدعوة الجماعية عند إبراهيم عليه السلام ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه من عبدة الأصنام.

المطلب الثانى: منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه من عبدة النجوم والكواكب.

المبحث الثالث: الدروس الدعوية المستفادة من التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التى توصل إليها البحث.

التمهيد

أولا :التعريف بأهم مصطلحات البحث

أ . المنهجية لغة واصطلاحا

بالنظر فى قواميس اللغة لكلمة (منهج) نجد أنها تدل على الطريق المستقيم الواضح، نهج الطريق:وضحه، يقال اعمل على ما نهجته لك، والمنهجية هى المصدر الصناعى من المنهج، وفلان يستنهج سبيل فلان أى يسلك مسلكه، والنهج: الطريق المستقيم(٥).

والمنهاج الطريق الواضح ، وفى القرآن { **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** }(٦). والمنهج الخطة المرسومة ، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوها (٧).

أما المنهجية فى الاصطلاح فيعرف د. محمد البدوى المنهجية بأنها: علم يعتنى بالبحث فى أيسر الطرق للوصول إلى المعلومة مع توفير الجهد والوقت وتفيد كذلك معنى ترتيب المادة المعرفية وفق أحكام مضمونة(٨).

إذن فالمنهجية هى طريقة تنظيم المعلومة بحيث يكون عرضها عرضا منطقيا سليما متدرجا بالقارىء من السهل الى الصعب ومن المعلوم الى المجهول منتقلا من المسلمات إلى الخلافيات متوخيا فى كل ذلك انسجام الأفكار وترابطها فهى فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها ، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين(٩).

أ . التدرج لغة واصطلاحاً

بالنظر إلى معاجم اللغة العربية نجد أن كلمة (درج) قد جاءت بمعنى المشي والمضي فيه، ففى معجم مقاييس اللغة: (درج) الدال والراء والجيم أصل واحد يدل على مضى الشئ، ومن ذلك قولهم: درج الشئ إذا مضى لسبيله(١٠)

أما (درّج) بتشديد الراء فمعناها التأني فى تناول الشئ أو بلوغه، ففى لسان العرب: درَّجت العليل تدريجاً، إذا أطعمته شيئا قليلاً، حتى يتدرج إلى غاية أكله كما كان قبل العلة درجة درجة.

ودرّج فلاناً إلى الشئ : أدناه منه قليلا قليلا وعوده إياه وفى القرآن الكريم { **هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**}(١١).

ومنه الاستدراج واستدرجه أي قربه وأدناه على وجه التدرج وقد ورد الاستدراج فى قوله تعالى { **سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**}(١٢)، أى سنأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم(١٣).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن اللفظ جاء فعلاً مجردا ومزيدا بالتضعيف وجاء اسما، ومع الاختلاف اليسير فى معانى الكلمات إلا أنها تدل على المشى والتقدم شيئا فشيئاً والصعود فى المراتب.

وعلى هذا فإن التدرج فى الدين يعنى الدخول فيه شيئاً فشيئاً واستدراج الناس إليه درجة درجة .

أما المعنى الاصطلاحي للتدرج فى الدعوة إلى الله فهو التقدم بالمدعو شيئاً فشيئاً للبلوغ إلى غاية ما طلب منه وفق طرق مشروعة مخصوصة(١٤).

من خلال التعريفات السابقة يمكن تعريف التدرج فى الخطاب الدعوى بأنه الترقى فى الخطاب الدعوى، واختلاف أسلوبه بما يقتضيه حال المدعو وواقعه والترقى هنا يشير إلى معنى التدرج فى اللغة وهو الصعود درجة درجة فى خطاب المدعو لأجل إقناعه، ووصوله للحق وهى الغاية، والمقصد من الدعوة إلى الله .

واختلاف الأسلوب يشير إلى الاختلاف فى درجة الخطاب من حيث التأدب والملاينة والتلطف أو المناظرة والجدال أو الحوار العقلى أو الشدة والتهديد، وقيد حال المدعو وواقعه يشير إلى الحكمة فى التدرج بما يوافق الزمان والمكان الذى ينشأ فيه المدعو، وهو ما يشير إليه بعض العلماء بفقه الواقع(١٥).

ب . الدعوة لغة واصطلاحاً

تأتى الدعوة فى اللغة لمعانٍ عدة، منها: إمالة الشئ إليك بصوت وكلام يكون منك، والدعوة إلى الطعام والنداء والحث على قصد الشئ ومن الدعوة جاء اشتقاق الداعية: وهو الذى يدعو إلى فكرة أو دين والهاء للمبالغة(١٦).

والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع(١٧). قال تعالى مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن : " **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ** "(١٨). والنبى صلى الله عليه وسلم داعى الله تعالى، وكذلك المؤذن " **وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** "(١٩)، " **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**"(٢٠).

ونخلص من هذا أن للدعوة فى اللغة معان عديدة الذى يعنينا منها هو الحث؛ لأن الداعية يحث المدعوين على الفكرة التى يريدها، والدين يدعو إليها.

أما الدعوة فى الاصطلاح: فقد عرّف الكثير من الكتاب والدعاة المعاصرين الدعوة بأنها: " هى قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين فى كل زمان ومكان بترغيب الناس فى الإسلام اعتقادا ومنهجا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة"(٢١).

إذن فالدعوة هى الحث على فعل الخير واجتناب الشر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتنفير عن الرزيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل، وهى عملية دعاء وتبليغ وإنذار، وبذل للجهد لهداية الناس إلى الطريق المستقيم.

وعلى ذلك فإن التدرج فى الدعوة يعنى إنذار الناس وتبليغهم دين الله تعالى، وبذل الجهد فى نصحهم بالتى هى أحسن؛ لهدايتهم إلى الطريق المستقيم، وللترقى شيئا فشيئاً والبدء بالأهم ثم المهم للوصول بهم إلى أعلى الدرجات (٢٢).

وعليه فإن منهج التدرج فى الدعوة ذو شقين: شق يتعلق بالكم وشق يتعلق بالكيف .

فالأول: يعنى أن يعطى الداعية المدعو من العلم المقدار الملائم له، ولا يكثر عليه ويحمله ما لا يطيق، فينوء به ويضيعه كله.

والثانى: ما يتعلق بالكيف والنوع بمعنى أن يبدأ مع المدعو بالجَلِى من العلم قبل الخفى والبسيط قبل المركب (٢٣).

ثانيا: أهمية التدرج فى الدعوة إلى الله

إن التدرج سنة من سنن الله تعالى فى خلقه، فالليل والنهار يذهبان بالتدرج ويأتيان بالتدرج، ويخرج النبات ويثمر فى أطوار متدرجة كذلك الإنسان فمن نطفة يكون علقة ثم مضغة ثم عظام، ثم تكسى العظام لحماً ثم يخرج إلى الدنيا طفلا لا يعلم شيئاً، ثم ينمو بالتدرج حتى يبلغ أرزل العمر أو يتوفى قبل ذلك.

وقد كان خلق السموات والأرض وخلق الإنسان على مراحل، وليس فى لحظة واحدة؛ ليعلمنا الله تعالى التمهل والأناة، ويدلنا على قانون الحياة، ويرشدنا كيف أن البناء لا بد له من إعداد وإحكام، فالبدء دائما يكون بالأهم وبالأساس ثم الأعمدة والأركان ثم التكميلات والتحسينات، فالأهم هو توحيد الله عز وجل، فإذا استقر التوحيد وملأ الإيمان القلب كان الانقياد والإذعان لأوامر الله تعالى وقبول التكاليف برضا وارتياح.

ومن خصائص التشريع الإسلامى أنه جاء متدرجاً بحسب الأحوال والوقائع ولم ينزل جملة واحدة، وذلك مراعاة لواقع المجتمع الذى أراد معالجته وإخراجه من الظلمات إلى النور، وذلك ما نلاحظه فى تدبرنا للآيات المكية والمدنية، فآيات القرآن التى نزلت بمكة المكرمة فى المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية تتعلق أساسا بالدعوة إلى عقيدة التوحيد، وكان الرسول ρ يتعهد من يؤمنون بدعوته بالتربية الروحية لترسيخ الإيمان والتقوى فى نفوسهم.

فقد سلك النبىε منهج التدرج لتغيير الحياة الجاهلية التى كانت مملوءة بالمنكرات والفواحش والربا والظلم والجهل والشرك بالله عز وجل، من حياة الخمر ووأد البنات إلى حياة إسلامية قويمة، فقد ظل ثلاثة عشر عاماً فى مكة تنحصر مهمته فيها فى تربية الجيل المؤمن الذى يستطيع فيما بعد أن يحمل عبء الدعوة وإنشاء الأمة والدولة، فكانت الآيات كلها عن التوحيد والعقيدة والسلوك الحسن؛ لهذا لم تكن المرحلة المكية مرحلة تشريع وتقنين، بل مرحلة تربية وتكوين، وكان القرآن نفسه فيها يعنى قبل كل شىء بتصحيح العقيدة وتثبيتها، ومد ظلالها فى النفس والحياة: أخلاقاً زاكية، وأعمالاً صالحة، قبل أن يعنى بالتشريعات والتفضيلات، فالإسلام لم ينزل جملة واحدة على الناس حتى لا يكون شاقاً عليهم، فلو جاءهم النبى ε بالأوامر والنواهى منذ البداية فحرم الخمر والربا، وأمرهم بأداء خمس صلوات فى اليوم والليلة وأداء الزكاة وصوم رمضان، لما أطاعه أحد فى ذلك ولنفر الناس عن هذا الدين؛ فكانت الحكمة الإلهية فى أن ينزل القرآن منجماً مفرقاً حسب الأحداث والوقائع وحسب تهيئ الناس لتلقى الشريعة بصدر رحب وتنفيذها كما يريد الله سبحانه وتعالى، ففى القرآن الكريم سور نزلت فى مكة وتسمى مكية، وأخرى نزلت بالمدينة وتسمى مدنية[٢٤].

وأما فى المدعوين أنفسهم فقد تدرجت دعوة النبى ε إذ بدأ بمحيطه القريب جدا، زوجته خديجة، وصاحبه أبى بكر، وابن عمه على بن أبى طالب، وغلامه زيد بن حارثه، ثم اتسعت

الدائرة لتشمل محيطا من أقاربه أوسع من ذى قبل عملاً بقوله عز وجل :{ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** }[٢٥].

وهناك عدة إشارات في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أهمية التدرج ومخاطبة المدعين بحسب أحوالهم يقول تعالى :{ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** }[٢٦].

فذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو فإما أن يكون طالبا للحق راغبا فيه محبا له مؤثرا له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال، وإما أن يكون معرضاً مشتغلاً بضد الحق ولكن لو عرف الحق آثره واتبعه، فهذا يحتاج مع الحكمة إلى موعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون جاحدا معانداً فهذا يجادل بالتى هى أحسن.

ومن الإشارات الظاهرة إلى التدرج في الدعوة ما جاء في قوله تعالى: " **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** (٣٢) **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**" [٢٧].

يعلل الرازى فى تفسيره للآية أنه تعالى لو أنزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق، فكان يثقل عليهم ذلك، أما لما نزل مفرقاً منجماً نزلت التكاليف قليلاً قليلا فكان تحملها أسهل (٢٨).

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: " إنما نزل أول ما نزل منه– أى القرآن– سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لاتزنوا: لقالوا: لا ندع الزنا أبدا. (٢٩).

ويؤكد ابن حجر_ رحمه الله_ المعنى نفسه فى شرحه للحديث: أشارت رضى الله عنها إلى الحكمة الإلهية فى ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء والتوحيد والتبشير للمؤمن المطيع بالجنة وللكافر والعاصى بالنار، فلما اطمأنت النفوس إلى ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا

قالت رضى الله عنها: ولو نزلت أول شيء لا تشربوا الخمر قالوا لا ندعها وذلك لما طُبعت عليه النفوس الإنسانية من النفرة عن ترك المألوف(٣٠).

فإذا أراد الداعية أن يقيم مجتمعاً موحدا يلتزم أفراده بشرع الله فلا يتوهم أن ذلك يتحقق له دفعة واحدة، بل لا بد أولا من التهيئة النفسية والفكرية للمدعين، وذلك بتقديم الأهم من الأمور على المهم منها، والتدرج من المألوف الذى اعتادوا إلى الجديد الذى يهدف إلى إيصالهم إليه ومن كليات الأمور إلى الجزيئات منها، ويباشرهم بالإصلاح دفعة واحدة، فإن ذلك يعتبر مصادمة لهم وتنفيراً عن قبول أوامر الدين ونواهيه(٣١).

ومن المهم فى هذه المقدمة أن أنبه على أن المراد من التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام ليس التدرج فى التشريع فلن أتطرق لهذا النوع من التدرج ، إنما المراد كما هو موضح فى عنوان البحث التدرج فى الخطاب الدعوى من اللين إلى الجدال والحوار والمناظرة إلى تغيير المنكر باليد.

منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام

أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام من أولى العزم من الرسل، طلب الله منه أن يدعو الناس إلى التوحيد، ولم تكن هذه المهمة بالمهمة السهلة، إذ كان عليه تغيير عقيدة بنيت منذ مئات السنين حول آلهة هى عبارة عن حجارة صماء، لا تنفع ولا تضر، يتوجه إليها بالعبادة تقليداً عاريا عن أى فهم أو تفكير.

فتدرج إبراهيم عليه السلام فى دعوة قومه أفرادا وجماعات واعتمد اسلوباً مختلفاً فى الاستدراج فى كل مرة، لأن لكل مقام مقال؛ فمن الناس من يسهل توجيهه أمام جمع كبير من الناس، إما لرجاحة عقله إذ يميز ميل الناس إلى الحق فيميل معهم، أو لضعف شخصيته فهو كالإمعة مقلد دون تفكير، وفى الحالتين فإن الداعية إلى الحق ينال مراده وهدفه المنشود من دعوته.

وهناك صنف آخر من الناس والذى لا يمكن أن يستجيب لتوجيه إيجابى إلا إذا وُجه بشكل فردى، إما لعناد يتملكه مثل آزر أبو إبراهيم عليه السلام، أو لقوة فى شخصيته وتكبره وتجبره والذى يمنعه فى الانصياع للآخر مثل الملك النمرود، فالأب بين أولاده له من المكانة ما للملك بين رعيته، فكلاهما يحتاج لحفظ ماء الوجه من أن يراق بعلانية الدعوة والجهر بها على رؤوس الأشهاد.

كذلك فقد كان معظم قوم ابراهيم عليه السلام يتملكهم الكبر والعناد والتمادى فى الباطل فاستدرجهم إبراهيم عليه السلام إلى الحق كل بما يناسبه، وحاول معهم بكل الوسائل والأساليب.

لذلك سوف أتناول التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام من خلال المواجهة الدعوية الفردية المتمثلة فى دعوته لأبيه ومناظرته لملك زمانه ،ثم المواجهة الدعوية الجماعية والمتمثلة فى حواره مع عبده الأصنام ومناظرته لعبدة النجوم والكواكب.

المبحث الأول: منهج التدرج فى الدعوة الفردية عند إبراهيم عليه السلام

والدعوة الفردية هى التوجه بالخطاب الدعوى إلى المدعو على انفراد أو مع جمع قليل من الناس لهم صفة الخصوص دون العموم، ومما لاشك فيه أن الدعوة الفردية تعد من أهم وسائل الدعوة لما تتسم به من الاتصال المباشر بين الداعى والمدعو وتتميز بالدقة فى الحكم والتقييم فى كل مرحلة من المراحل.

المطلب الأول: منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر

نشأ إبراهيم عليه السلام فى بيت اشتهر أهله بعبادة الأصنام، بل وصنعها أيضاً، فاستقرت كراهيتها فى قلبه السليم منذ كان صغيرا بما أودعه الله تعالى فى قلبه من الرشد، فكان من المنطقى أن يبدأ إبراهيم بدعوة أقرب الناس إليه، ولذلك كانت الخطوة الأولى فى خطوات تبليغه الرسالة هى أن يدعو أباه آزر(صانع الآلهة الصماء) فكان سؤاله سؤال المستغرب لهذه العبادة الغير مفهومة " **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**"(٣٢).

ولما كان آزر صانعاً للأصنام فإذا وجهت إليه الدعوة واعتقد بطلانها وترك صناعة الأصنام وعبادتها واعتنق التوحيد، فيكون إبراهيم بذلك قد قضى على مصدر الشر فى عقر داره وهو ما يشبه تجفيف منابع الكفر(٣٣).

لذلك نجد فى دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه روعة فى التدرج والحسن والاتساق وكمال الأدب تتمثل فى قوله تعالى" **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** (٤١) **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** (٤٢) **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ**

جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا "[٣٤].

ويتبين من خلال الآيات اعتماد إبراهيم عليه السلام لمنهجية متدرجة لإقناع والده تتمثل فى :

أولاً: التلطف واللين فى الكلام:

كان عليه السلام فى منتهى التعقل والهدوء واللين وهو يدعو أباه، فعلاقة إبراهيم عليه السلام بأبيه هى علاقة بنوه – أبوَّه، ولكن التعارض قائم بين دعوة إبراهيم إلى التوحيد واعتراض آزر له، فهو عابد للأصنام وصانع لها، ومع ذلك اتبع إبراهيم عليه السلام منهجية للتقرب من أبيه، فخاطب أباه بلهجة تسيل أدبا ورقة، فاستهل دعوته فى كل مرة بـ " يا أبت" توسلاً إليه واستعطافا لقلبه وحفاظا على علاقة الأبوة، وكررها أربع مرات من أجل التقرب إليه، وفى استخدام المقطع المحدد (يا) الذى هو للبعيد مع كونه بجواره من اللطافة، والرقة وفيه توقير وإخلاص للنصيحة ودلالة واضحة على الحب الذى يملأ قلب سيدنا إبراهيم لأبيه وخوفه عليه.

ثانيا: إثارة الشك فى الاعتقاد

بدأ إبراهيم عليه السلام حواره مع أبيه بإلقاء الحجة فى صورة استفهام، وفيه لفت للنظر العميق الذى يبعث على الشك والبحث ،واستفهامه " **لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** " [٣٥]، هو أول خطوة فى البصر بالحجة لتثبيت الأب على فساد عبادة الأصنام، فوصفها بثلاثة أوصاف كل واحدة منها قادحة فى الألوهية، ولكون العبادة هى غاية التعظيم فلا يستحقها إلا من له غاية الإنعام وهو الإله الذى منه أصول النعم وفروعها، فالأصنام والتماثيل هى جمادات ميتة لا تتكلم ولا تبصر ولا تستطيع أن تجلب المنافع ولا تدفع ضررا وكل ما كان حاله كذلك لا يستحق التقدير والتعظيم ولا يصح وصفه بالألوهية لأنه لا يملك حولاً ولا قوة[٣٦].

وتخصيص السمع والبصر دون سائر الحواس، لأن عدم وجودهما فيمن يدعى له الألوهية يعنى عدم صلاحيته لشيء أصلا، ولم يقتصر على سلب هاتين الصفتين، بل سلب جميع القدرات عن معبود أبيه، يقول الإمام البيضاوى: واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى تدعوه إلى عبادة ما يستحق به العقل الصريح ويأبى الركون إليه، فضلا عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام، والإنعام العام وهو الخالق الرازق المحي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغى أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح، والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة، فكيف إذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر؟[٣٧].

ثالثا: تواضع الداعية

دعا إبراهيم أبيه أن يلتمس المعرفة من جهته هو، ونقل لأبيه خبر نبوته لدفع ما قد يخالج عقل الأب من النفور عن تلقى الإرشاد من ابنه " **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا** "[٣٨] ، فلم يخاطب أباه بالجهل عما يدعو إليه ولا وصف نفسه بالاطلاع على كنه الحقائق والاختصاص بالعلم الفائق بل عنده بعض العلم الدال على سلوك طريق الهداية، وأتبع ذلك بقوله { **فَاتَّبِعْنِي** } لأن اتباع الأنبياء هو سبيل الهداية والصلاح، فقد ثنى دعوته لأبيه بدعوته إلى الحق مترفقاً ومتلطفا، فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال :" إن معى طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك فاتبعنى أنجك من أن تضل وتتيه[٣٩].

رابعا: التنفير من الباطل

وينتقل إبراهيم عليه السلام بأبيه إلى استدلال آخر { **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا** }[٤٠] فهو ينهاه عن عبادة الشيطان لأن من عبد الأصنام فقد عبد الشيطان، فإبراهيم عليه السلام ينتقل إلى معرفة مشتركة وحقيقة يقرها الجميع وهى كون الشيطان عاصياً لله، وتسوية الشيطان بالأصنام لأن عبادة الأصنام واتخاذها آلهة هو من تسويل الشيطان وهذا إفصاح عن فسادها وضلالها، فإن نسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مقررة فى نفوس البشر[٤١].

ومساواة إبراهيم عليه السلام عبادة الأصنام بعبادة الشيطان ليخلق شعور بالتنفير بعد أن أثار الشك حول معبود أبيه فكأنه يقول له أن عبادتك للأصنام هى عبادة للشيطان فهو الذى يسولها لك ويغريك بعبادتها(٤٢).

وتعليل{ **إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا** } تزييل معلل للنهى وتأكيد له ببيان أنه مستعصى على ربك الذى أنعم عليك بفنون النعم، ولاريب أن المطيع للعاصى عاص، وكل ما هو عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم منه، والإظهار فى موضع الإضمار لزيادة التقرير والاقتصاد على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لأنه ملاكها، أو لأنه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وذريته، فتذكيره داع لأبيه إلى الاحتراز عن موالاته وطاعته، والتعرض لعنوان الرحمانية، لإظهار كمال شناعته وعصيانه(٤٣).

أى أن الشيطان الذى استعصى على ربك الرحمن هو الذى ورطك فى هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك، فأنت إن حققت النظر عابد للشيطان.

خامسا: التخويف من سوء العاقبة

ويختم إبراهيم عليه السلام دعوته لأبيه باللين بتخويفه من سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من الشرك ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال : " يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا" فذكر الخوف والمس ونكّر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب(٤٤).

وتدرج الموعظة عند إبراهيم عليه السلام كان فى غاية الحسن، فقد نبه أولاً إلى بطلان عبادة الأوثان، ثم أمره باتباعه فى الاستدلال وترك التقليد الأعمى ثم ذكره بأن طاعة الشيطان غير جائزة فى العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام مع رعاية الأدب والرفق(٤٥).

رد الأب على دعوة إبراهيم عليه السلام

أما الأب فقد قابل استعطاف ولطف ابنه فى إرشاده وهدايته بفظاظة وغلظة وعناد وناداه بـ "إبراهيم" زاجراً وموبخاً بل هدده وحذره: لئن لم تنته عما أنت عليه من النهى عن عبادة آلهتى والدعوة إلى ما دعوتنى إليه " **لأرجمنك**" وأمره بالابتعاد عنه "**وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**".

ويقصد الأب لأرجمنك بإظهار أمرك للناس ليرجموك ويقتلوك، أو لأرجمنك بالحجارة لتتباعد عنى، أو لأرجمنك لأقتلنك بلغة قريش والهجر قد يكون هجر بالقول أو المفارقة فى الدار والبلد،" **وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**" أى مدة بعيدة أو ملياً بالذهاب عنى والهجران قبل أن أُثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح.(٤٦).

ومع ذلك كان رد إبراهيم عليه السلام بأن أبدى اللين كله لأبيه فقال له :{ **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**(٤٧) **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** }(٤٧).

إذن فقد أجاب عليه السلام بأمرين:

الأول: أنه وعده بالتباعد منه موافقة وانقياد منه لأمر أبيه.

الثانى: سلام عليك توديع ومتاركة، أى سلمت منى لا أصيبك بمكروه، وذلك لأنه لم يؤمر بقتاله على كفره(٤٨).

إذا فقد أخفق إبراهيم عليه السلام فى هداية والده؛ فالنبوة لا تمنح للنبى حق الهداية بل ما على الرسول إلا البلاغ؛ لذلك كان رد إبراهيم عليه السلام بالتوجه إلى أبيه بالسلام والوعد بالدعاء له بالمغفرة " **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** "(٤٩)، يقول الرازى: وهذا دليل على جواز متاركة الموضوع إذا ظهر منه اللجاج وعلى أنه تحسن مقابلة الإساءة بالإحسان(٥٠).

واستمر بالدعاء لأبيه والاستغفار له مع قناعته بأنه لا يملك من أمر هدايته شيء وأن الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى.

والحكمة هنا من هذا التحول هى إظهار المحبة للمنصوح وإبداء الإشفاق عليه، وترك باب الحوار مفتوحاً بينهما، فهو وإن كان مهتما بهداية قومه إلا أنه فى جانب هداية أبيه أشد اهتماماً، وبذلك فإنه يعلمنا أن الأقربين أولى بالمعروف والعناية وأن من أهم أشكال التدرج هو البدء بالأقرب لأن خير أعمال الأب أن يترك ولدا صالحاً يذكره بالخير ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر إلا أن والد مثل آزر كان مشمولا عقائدياً ومعرفيا واجتماعيا بعبادة الأصنام إضافة إلى كونه صانعاً لها، ومن الصعب أن يتخلص من هذه المعتقدات الراسخة حتى لو اقتنع بفسادها.

وكان هذا الوعد من إبراهيم لأبيه بالاستغفار خاضعاً للشعور بالأمل فى تراجعه عن موقفه برجوعه إلى الله ليس مرتكزاً على الشعور بأن القرابة تمثل امتيازا يميز به أباه عن غيره ولذا أعلن البراءة منه بعد وضوح موقفه تماما من اليأس من إيمانه وظهور عداوته لله " **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ** " (٥١).

المطلب الثانى: منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام لملك زمانه

جادل إبراهيم عليه السلام النمرود أو (النمروذ) والذى آتاه الله الملك فأخذه الكبر والبطر حتى ادعى الربوبية لنفسه قال تعالى: " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** "(٥٢).

والذى حاج إبراهيم عليه السلام قد خاصمه خصاما باطلا فى شأن صفات رب إبراهيم لذلك نقول إن حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود تأتى فى مقام المناظرة التى اعتمدت على المحاجاة والاستدلال لرد حجة القسم .

يقول ابن القيم: لمناظرة المبطل فائدتان: أحدهما : أن يرده عن باطله ويرجع إلى الحق.

الثانية : أن ينكف شره وعداوته، ويتبين للناس أن الذى معه باطل، وهذه الوجوه كلها لا يمكن أن تنال بأحسن من حجج القرآن، ومناظرته للطوائف، فإنه كفيل بذلك على أتم الوجوه لمن تأمله وتدبره، ورزق فهما فيه، وتعتبر المناظرة من أعلى مراتب الحجج[٥٣].

ولأن المناظرة جاءت أمام طاغية تجبر وتكبر وادعى الألوهية فقد تدرجت على أربعة مراحل متتالية:

أولاً : تحديد الهدف العام من المناظرة

نشأت المحاجاة عندما طلب النمرود من الخليل دليلا على وجود الرب الذى دعا إليه إبراهيم عليه السلام مع اعتقاد الملك بأنه هو الرب، ورفض دعوة إبراهيم الموجهة إليه.

فتبدأ المناظرة بتحديد الهدف العام منها وهو: من هو الرب الذى يستحق أن يعبد؟ ونستخلصه هنا من قول إبراهيم فى بداية المحاورة { **رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ** } إذ يوحى هذا بسؤال النمرود لإبراهيم من هو ربك.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف دخل المتناظران فى علاقة حوارية تفسح المجال لكل واحد منهما عرض حججه فتتحقق بذلك الأصول العامة للمناظرة وهى : وجود دعوى وجانبين متحاورين لكل منهما آداب ووظائف ولابد لهما من مآل يكون بعجز أحد الجانبين[٥٤].

ثانيا: الوضوح فى طرح الحجة (حجة الإحياء والإماتة)

بدأ إبراهيم عليه السلام الدليل على دعواه بأن قال إن صفات الرب الذى أدعو إليه بيده المعجزة المشاهدة والمتكررة، الظاهرة المستترة، ألا وهى معجزة الحياة والموت، فهو الذى يهب الحياة لمن يشاء ثم ينزع عنها الحياة فتموت، ولا حياة من غير محيي، ولا موت من غير مميت، والذى بيده ذلك هو الرب الذى أدعو إلى عبادته وتوحيده، يقول ابن كثير:" أى الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من مُوجد أوجدها وهو الرب الذى أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له[٥٥].

أمّا وجه الحجة في علاقة الربوبية بالإحياء والإماتة أن صفة الإحياء والإماتة مركزية ومفصلية تفصل بين العبد والرب، يقول الطاهر بن عاشور: واحتج بحجة واضحة يدركها كل عاقل وهى أن الرب الحق هو الذى يحيي ويميت، فإن كل أحد يعلم بالضرورة أنه لا يستطيع إحياء ميت فلذلك ابتدأ إبراهيم الحجة بدلالة عجز الناس على إحياء الأموات(٥٦).

وحرص إبراهيم على إبلاغ قصده قاده إلى الوضوح فى طرح حجته وهدف الوضوح فى المناظرة هو إدراك المعنى بشكل مباشر دون أن يعكره أى تشويش، فأتى الملك بدليل يماثل دليل إبراهيم عليه السلام مجازا لا على الحقيقة، فقال : "أنى أحيي وأميت" وزعم أنه يفعل ذلك فأتى برجلين استحقا القتل، فأمضى حكم القتل فى أحدهما وعفى عن الآخر، وبذلك يكون أمات الأول وأحيا الثانى، والمعلوم أن هذا ليس الجواب المراد بل مكابرة وعناد، وذلك لأن استعماله للفظ الإحياء والإماتة كان على سبيل المجاز، ونسى هذا الملك أن السبب الحقيقى فى ذلك هو الله، وهو لم يفرق بين الأسباب والمسببات فعدّ السبب مسببا، بمعنى أنه قد يأمر بالإعدام والقتل فيموت بسبب أمره ولكن من هو المسبب والمقدر فى ذلك حقيقة؟ إنه الله رب العالمين وعفوه عن الآخر يعنى أنه سبب مباشر فى بقائه على قيد الحياة ولكن السبب الحقيقى فى عفوه هو إلهام الله له بالعفو.

وحجة النمرود مغالطة مردّها تجاهل المطلوب وقد جاء بمغالطة عن جهل وغرور فى الإحياء والإماتة فقد تجاهل المطلوب الحقيقى وهو قدرة الرب على الإحياء والإماتة وعمد على البرهنة على شيء آخر وهو قدرته كملك على العفو عن المحكوم عليه بالموت أو الأمر بقتله، وهذه المغالطة حيلة وتمويه وتضليل من أجل أن يحافظ على مكانته وسعيا لتحقيق قدرته باستغلال سلطته فى الإحياء والإماتة.

ولكن إبراهيم عليه السلام لم يشأ الجدال معه فى هذه المسألة لأن ما صدر عن الملك معارضة فاسدة، فحقيقة ما فسره الملك فى الإحياء والإماتة غير التى يقصد إليها إبراهيم عليه السلام، لذلك أتى بدليل آخر يفضح معارضته، ولذا جاز الانتقال لدليل آخر أقرب إلى الفهم وأقوى للحجة(٥٧).

ثالثا: الاحتجاج بما لا يستطيع الخصم انتحاله

فقرر إبراهيم عليه السلام الانتقال إلى دليل آخر أشد إفحاماً للخصم وأكثر إلجاماً له، فأتى للملك بحقيقة كونية تطالع الأبصار والمدارك كل يوم، لا تتقدم ولا تتأخر ولا حتى تتخلف عن فعلها، وهى دليل يخاطب الفطرة والعقل حتى لو لم يعرف الإنسان شيئا عن هذا الكون وتركيبه(٥٨).

فقال عليه السلام : " **فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** " أى إذا كنت تدعى الربوبية وقدرتك على الإحياء والإماتة كقدرة الله، فانظر إلى الشمس التى سخرها الله لأن تشرق من المشرق بمشيئته وأمره فإن كان لك الأمر والحكم فاجعلها تشرق من الغرب ولو مرة واحدة، فإن لم تستطع ثبت بالدليل الكونى أن الله تعالى هو رب العالمين وهو وحده الخالق لكل هذه العوالم.

واعتمد إبراهيم عليه السلام فى مناظرته على منهج التدرج من دليل إلى دليل آخر أشد إفحاماً والجاماً للخصم، فعندما سعى النمرود إلى إسقاط دعوى إبراهيم عليه السلام " قصة إحيائه الرجل وإماتته للآخر" عدل إبراهيم عليه السلام عن هذا الاعتراض؛ لأن هذا ليس من الإحياء المحتج به إلى ما لا يستطيع النمرود انتحاله ولا المغالطة فيه لأن النمرود لم يفهم الدلالة الأولى، أو أنه علم وغالط.

لذلك أراد إبراهيم عليه السلام إخراج النمرود من دائرة الربوبية بالاستدلال المنطقى المتدرج، فانتقل إبراهيم إلى الحجة الثانية والتى تشكل إجماعا عند النمرود وقومه من عبدة الكواكب، فالشمس كآية كونية كبرى فى السماء والتى عبدها القوم من دون الله إنما هى مسخرة من قبل الله سبحانه وتعالى، إذن فهو وحده المستحق لأن يعبد ، فترجع قوة الحجة الثانية إلى قدرتها على التأثير على مجتمع يقر تمام الإقرار بحصول شروق الشمس من المشرق وغروبها من المغرب بحيث لا يستطيع بشر القيام بذلك، ولذلك كانت الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، لا لكون الأولى ضعيفة بل من حيث تأثيرها على المجادل.

ولم يقبل أحد من المفسرين قط أن معنى الآية: أن هذا الاحياء والإماتة حاصلة منى ومن كل أحد، بل نقطع بأن هذا لم يخطر بقلب المشرك المناظر البتة، وقد ظن جماعة من الأصوليين

وأرباب الجدل أن إبراهيم انتقل مع المشرك من حج إلى حجة ودليل ذلك أنه لم يجبه عن قوله أنا احيي وأميت، لأن إبراهيم فهم مراده من الإحياء وهو استبقاء حي على حياته، وبالتالى انتقل إلى حجة أوضح من الأولى فقال: " إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب" فانقطع المشرك المعطل، وليس الأمر كما ذكروه ولا هذا انتقال بل هذا مطالبة له بموجب دعواه الإلهية، فلما ادعى الكافر أن يفعل كما يفعل الله، فيكون إلها مع الله، طالبه إبراهيم بموجب دعواه مطالبة تتضمن بطلانها وهى أن يأتى بها من المغرب وهذا برهان لا يقبل المعارضة بوجه، فلما تأكد عدو الله من ذلك لم يطلب من إبراهيم أن يأتى بها الله من المغرب خوفاً من أن يأتى بها من مغربها فيظهر بطلان دعواه، وعدم صلاحيتها للربوبية، وبذلك يكون إبراهيم قد أبطل مذهب عبادة الكواكب والنجوم، وكذلك الأصنام الناطقة والجامدة لأن الله وحده هو الذى يحيى ويميت ولا يصلح الحى الذى يموت للإلهية، لا فى حال حياته ولا بعد موته، فإن له ربا قادراً قاهراً متصرفاً فى الإحياء والإماتة ومن كان كذلك فكيف يكون إلهاً؟(٥٩).

رابعا: غلبة الحجة وإلجام الخصم

ولأن النمرود رد على إبراهيم فى الحجة الأولى، ولم يعاند فى الثانية حين ذكر حجة تتصل بالكواكب لأن النمرود وقومه أهل تنجيم فلم يرد { **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**}. يقول النسفى:" إننا نحتج بالحجج أو بالقضايا أو لنقل بالآراء التى تشكل إجماعاً عند مجتمع معين، فترجع بهذا قوة الحجة الثانية إلى قدرتها على التأثير على مجتمع يقر ويعلم تمام العلم بحصول شروق الشمس من المشرق وغروبها من المغرب، بحيث لا يستطيع بشر القيام بذلك، ولذلك كانت الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، لا لكونها ضعيفة بل من حيث تأثيرها على المتلقى (النمرود)(٦٠).

يقول محمد سيد طنطاوى فى هذا الصدد: " والعقلاء دائما تتضح لهم الحجة ويظهر لهم البرهان ويرون الدليل الساطع على صحة المسألة يقتنعون بذلك ويعترفون بالحق، أما السفهاء والجهلاء والمغرورون فإنهم يصرون على باطلهم ويجحدون الحق عن علم به لسوء نواياهم وضعف عقولهم وانطماس بصائرهم "(٦١).

وغياب صوت النمرود فى النهاية { **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**} يدل على أن حجة سيدنا إبراهيم عليه السلام أعجزته عن الرد وهذا الغياب له دلالة هامة وهو ما أكده قوله تعالى :{ **وَاللَّهُ لَا**

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} فانتفى هدى للقوم الظالمين لأن الظلم حائل بين صاحبه وبين التنازل إلى التأمل من الحجج وإعمال النظر فيما فيه نفع، إذ الذهن فى شاغل عن ذلك بزهوه وغروره، فانتهاء الحوار بين المتناظرين بسكوت النمرود أفضى بالمناظرة إلى غلبة حجة سيدنا إبراهيم عليه السلام وسحب سلطة نمرود .

المبحث الثانى: منهجية التدرج فى الدعوة الجماعية عند إبراهيم عليه السلام

وتسمى الدعوة جماعية عندما يكون المدعو فيها جماعة أو جماعات تتلقى الرسالة من الداعية والذى يتوجه فيها بخطاب عام يتوخى من خلاله تحقيق فائدة وأثر أوسع وأشمل.

وتتمثل المواجهة الدعوية الجماعية عند إبراهيم عليه السلام فى خطابه الدعوى الموجه إلى قومه من عبدة الأصنام ودعوته لأهل حران بالشام من عبدة النجوم والكواكب.

المطلب الأول : منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه من عبدة الأصنام:

لم يبعث الله تعالى نبياً ولا رسولاً برسالة إلى قومه إلا احتجوا بأن الضلال الذى هم فيه سببه آباؤهم وأجدادهم " **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**(٢٢) **وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** "(٦٢).

ولم تخل أمة من مثل هذه الحجج الواهية، وكأن عقولهم سلبت لدرجة عدم التفريق بين ما ينفعهم وما يضرهم، بغض النظر عن الضرر الذى هو أبعد من أن يعتقد بقدرتهم عليه، وكذلك كان حال قوم إبراهيم من المشركين والذين صرفوا العبادة لغير الله تعالى فعكفوا على عبادة الأوثان، فحين سألهم عن التماثيل التى يعبدونها ويقدمون إليها ما ألزموا به أنفسهم من الطاعة والولاء، فناقشهم إبراهيم فى ذلك وتحاور معهم حول العقيدة؛ لإنكار الآلهة المدعوة، والاتجاه بالعبادة إلى الله تعالى الواحد وتذكيرهم باليوم الآخر.

وورد خطاب إبراهيم عليه السلام مع قومه فى سور مختلفة من القرآن الكريم، وكان فى كل مرة يستدرجهم ليصل بهم إلى الحقيقة الإلهية، إلا أن آلية الاستدراج عنده اعتمدت طريقة مختلفة فى كل مرة.

فقد سجل القرآن الكريم حوارات إبراهيم عليه السلام بين أبيه وقومه من عبدة الأصنام فى أكثر من موضع : " إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ(٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ "[٦٣].

وفى حوار آخر " إِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ " [٦٤].

هذه الآيات العظيمة تبين أن صاحب الرسالة يجب أن يكون مؤمناً بها، قوياً فى توصيلها مستخدماً الوسائل والأساليب المناسبة للملتقى، ويتضح من خلال الآيات اعتماد إبراهيم عليه السلام على آلية الاستدراج لإقناع أبيه وقومه ببطلان عبادة الأصنام على هذا النحو:-

أولاً: السيرة الحسنة

فقد أثبت عليه السلام رشداً لم يظهر فى أقرانه، ولم يصف الله تبارك وتعالى بالرشد أحداً غير إبراهيم عليه السلام لذلك لا نجد آية واحدة فى القرآن الكريم عاب فيها قومه عليه عقله، ومن خلال ذلك أقدم إبراهيم عليه السلام على التحدث لأبيه وقومه عن عبادتهم للتماثيل والأصنام مع علمه بحظر مثل هذا الكلام فى هذا المجتمع المشرك الذى كان يعيش فيه، إلا أنه اعتمد على سيرته الحسنة بين قومه، فاعتمد على أنهم لن يأخذوا كلامه إلا بشىء من الفهم والتفكير، فهم يعلمون مدى رجاحة عقله، ومكانته وأبيه فى مجتمعهم.

ولعلمهم اليقينى برشده فإنه عندما بين لهم سوء معتقدهم وفساد معبودهم سألوه إن كان جاداً أو أنه يمازحهم { **قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ**}[٦٥].

يقول ابن عاشور: وأرادوا بتأويل كلامه بالمزح التلطف معه وتجنب نسبته إلى الباطل استجلابا لخاطره لما رأوه من قوة حجته، وعُدل عن الإخبار بأنه من زمرة اللاعبين مبالغة فى توغل كلامه فى باب المزح(٦٦).

فلم يكن هذا منهم قدحاً فى شخصيته وإنما استغرابا منهم لتوصله لحقيقة لم يتوصل إليها أحد منهم ممن سبقوه بالعمر والعلم، وتجرئه على الإفصاح بما يجول بخاطره حول تعطيل آلهتهم.

ثانيا: الاستدراج بطرح السؤال الهادف

ينطلق إبراهيم عليه السلام من حسن سيرته عند قومه بينهم فيطرح عليهم الأسئلة التى ربما أسئلة عادية لغافل عنها، إلا أنها أسئلة الحاذق الذى يخفى خلف سؤاله هدفاً.

" أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً" ؟ " أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ " ؟ " مَا تَعْبُدُونَ" ؟ " أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ " ؟ " هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ " ؟ " أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ" ؟.

فإبراهيم عليه السلام يبدأ بسؤال قومه عن حقيقة الأصنام التى يعبدونها، والسؤال باعث على ربط الاتصال بالطرف الآخر وحمله على المشاركة فى الحوار، فالاستفهام يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب فى موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه ليتمكن من فهمه ثم الإجابة عنه.

والاستفهام هنا يخرج عن حقيقة إلى الاستنكار والسخرية؛ لعدم الملائمة بين حقيقة الأصنام المعبر عنها بالتماثيل، وبين وصفها بالمعبودية(٦٧).

فبادر بطرح الأسئلة " **أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ" ؟، "هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ" ؟ ، " أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ"؟ ،" أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ "؟.**

والهدف من طرح هذه الأسئلة العصف الذهنى للمتلقى لإعادة التفكير المنطقى، وبيان أن عبادة الحجارة الصماء التى لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع إنما هو ضلال كبير.

ثالثا: إحراج قومه ببيان حقيقة آلهتهم

خلاصة أسئلة إبراهيم لقومه هى الاستغراب من عبادة حجارة صماء لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، وتكرار استفهام إبراهيم عليه السلام يعبر عن حقيقة الأصنام التى يعبدونها من أجل أن يدفع بعقولهم للبحث فى حقيقة (التماثيل) ، وفى هذا حجة ضمنية تمهد لتخطئتهم بعد سماع جوابهم، فلما ردوا على حجته بهذا القول " **وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**"، وبالتالى لا حجة لهم فى عبادتهم لهذه التماثيل التى صنعوها وأقاموها بأنفسهم إلا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها، فحجتهم التقليد الأعمى، ولو كان عندهم حجة لذاتية العمل لقالوها(٦٨)، وحجتهم يغيب فيها العقل " وما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان" (٦٩)، ومن هذا الجواب الذى أنتجه السؤال الحجة يرجع إبراهيم إلى معطى آخر يقدمه على أساس أنه نقطة انطلاق لاستدلال سيؤدى إلى إصدار القول الذى يجتمع به إبراهيم على قومه وينكر عليهم قولهم فيرد مستنكراً : "**لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**"، وفى هذا الكلام حجة ضمنية بين فيها" أن الباطل لا يصير حقا بسبب كثرة المتمسكين به"(٧٠).

رابعا: الاسترسال الحوارى

تدرج إبراهيم عليه السلام فى الحجة والاقناع واتخاذ المنطق السليم عندما استخدم طريقة الحوار لتقرير وحدانية الله سبحانه وتعالى فى أذهان قومه، فدارت المحاورات بين إبراهيم عليه السلام وقومه فى شكل سؤال وجواب، والتى صنعت تشكيلا حوارياً تفاعلياً على هذا النحو:

قال: ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون

قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين.

قال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين.

قالوا: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين؟

قال: بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين. وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.

قالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين؟

قالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم.

قالوا: فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون.

قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم .

قال: بل فعله كبيرهم هذا، فسألوهم إن كانوا ينطقون

قالوا: إنكم انتم الظالمون.

قال: أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم. أُف لكم ولما تعبدون. قالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين.

إن الغرض من حوار إبراهيم عليه السلام هو البحث عن الحق، فالحق مطلوب والتعاون على النظر فيه مفيد ومؤثر، فعبدة الأصنام فى حاجة إلى البحث المشترك مع إبراهيم عليه السلام للتوصل إلى توحيد الخالق.

فاستعمل إبراهيم عليه السلام التدرج فى الحجة والإقناع واتخاذ المنطق السليم عن طريق السؤال والجواب وبناء مقدمات يترتب عليها نتائج لتقرير وحدانية الله سبحانه وتعالى فى أذهان قومه.

واستخدم أسلوب الحوار لفتح مجالات متعددة بين المتحاورين، ومهارة طرح السؤال تجعلهم فى حاجة إلى البحث المشترك والذى يؤدى إلى أن يؤكد المجيب صحة معتقده أو ضحده.

وهذا بالضبط ما حصل مع هؤلاء القوم الذين رجعوا إلى أنفسهم وتبين لهم أنهم يظلمونها بعبادة تلك الأصنام وذلك بعد أن حطمها لهم فتى يدعى إبراهيم" **فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ** "[٧١].

خامسا: عقد اليمين على تغيير المنكر

لقد حملت حجج إبراهيم عليه السلام معرفة جديدة تتمثل فى عقيدة التوحيد، لم يتقبلها قومه لاعتبارات كثيرة، مما خلق أزمة تواصل دفعت بإبراهيم إلى إثبات حجته فى بطلان عبادة الأصنام بلجوئه إلى الفعل، فأقسم بالله " **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم** "، وعقد هذا اليمين إن كان جهرياً فقد قصد منه التهديد، وإن كان سرياً فقد خطط لاستدراجهم إلى نقاش يعرى آلهتهم من كل احترام.

والغرض من هذا القسم هو تحقيق الخبر وتوكيده؛ لإثبات حجة يستبعدها المخاطب، وتحقيق حقيقة من الحقائق وتوكيدها حتى تجد قبولاً لديه(٧٢).

سادسا: تغيير المنكر باليد

وليواصل إبراهيم عليه السلام استدراج قومه قام بفعل تحطيم الأصنام، فقد دخل بيت الأصنام فوجد سبعين صنما مصطفة وصنم كبير مستقبل الباب فكسرها كلها بفأس فى يده حتى لم يبق إلا الكبير ثم علق الفأس فى عنقه.

وبهذا الفعل يقدم إبراهيم عليه السلام معطيات جديدة يدعم بها دعوته ويفتح محاورة أخرى مع قومه.

وهذه المرة تبدأ المساءلة من قومه " **أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ** " ؟، فرد إبراهيم عليهم بحجة ضمنية وهى أنه رد فعل التحطيم إلى من لا يستطيع ولا يتأتى منه أى فعل " **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا** " وهو بذلك يُلزمهم بتكملة العناصر الغير مصرح بها، ثم يجعل حجته "**فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** " وبالتالى فقد أقام الحجة عليهم، فكأنه قد قال لهم :" لو كان هذا إلها لما رضى بالاعتداء على شركائه فلما حصل الاعتداء عليهم بحضور كبيرهم تعين أن يكون هو الفاعل لذلك.

إذن فقد اعتمد إبراهيم عليه السلام وسيلة منطقية تتمثل في الدليل المادى الملموس؛ ليدعم النتيجة التى يريد الوصول إليها، حتى كاد قومه أن يعترفوا بحجة إبراهيم عليه السلام "**لَقَدْ عَلِمْتَ**

مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ"، إلا أنهم عادوا للمكابرة والانتصار للأصنام واختاروا لمعاقبته على فعلته إحراقه بالنار.

سابعا: إثبات قول الخصم والكر بالحجة

أثبت إبراهيم عليه السلام قول قومه الباطل عليهم ليتبين مدى سذاجة عقولهم وسفاهة أحلامهم وظهر هذا الاثبات عندما قال " قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"، وذلك بعد إثباته عملياً أن هذه الآلهة لا تنطق واعترافهم بذلك " فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ" أنهم لا ينطقون، وهو بذلك يفحم الضالين ويُقعد عزائمهم عن الجدال ويُخرس ألسنتهم عن الرد فقد أدخلهم في حالة من الحيرة وبسؤاله كيف تعبدون أصناما جامدة بكماء؟ وهكذا يكون كر عليهم بالحجة التى قدمها قبل أن يحطم الأصنام، حين سماها تماثيل فالتمثال الذى لا ينطق والذى حذرهم من عبادته من دون الله في بداية النقاش هو ذاته الذى تم اعترافهم عليه بأنه أبكم.

وهذا الأسلوب مليء بالحكمة وقد كرّ عليهم مرة أخرى حين طلب منهم أن يسألوا الصنم الأكبر عن محطم الأصنام والنتيجة : إذا لم تكن هذه الأصنام ناطقة فكيف يمكنها أن تُنطق الناس فضلاً عن خلقهم؟ وكيف يمكنها محاسبة من يتكلم عنها بسوء؟ وكيف يمكنها أن تسير أمور الكون؟

ثم تم النطق بالحكم النهائى على الفتى الذى تطاول على الآلهة وهو الإحراق بالنار، وهذه عادة الجبابرة فإنهم إذا عُرضوا بشيء وعجزوا عن الحجة اشتغلوا بالعقوبة.

وظهرت المعجزة الكبرى بأن سلب الله من النار صفة الإحراق فتحولت إلى برد وسلام " **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**" [٧٣]. وحدث ما لم يكونوا يحتسبون، ورأوا آية عظيمة ومعجزة محيرة ولكنهم لم يؤمنوا ولم تهتز قلوبهم، وأصروا على الكفر والعداء.

ثامناً: إعلان عقيدة الولاء والبراء

كان إبراهيم عليه السلام أول من أعلن عقيدة البراء والولاء، والولاء يعنى محبة الإيمان وأهله والبراء وهو كراهية الشرك والمشركين، لذلك أعلنها في وجه أبيه وقومه صرخة مدوية: "**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**" (٧٤)

يقول ابن القيم :" وهذه براءة منهم ومن معبودهم، وسماها براءة من الشرك وهى حقيقة المحو والإثبات، فيمحو محبة ما سوى الله عز وجل من قلبه علما وقصدا وعبادة، كما هى ممحوة من الوجود، ويثبت فيه ألوهيته سبحانه وحده، وهى حقيقة الجمع والفرق، فيفرق بين الإله الحق، وبين من ادعيت له الإلهية بالباطل، ويجمع تأليهه وعبادته وحبه وخوف ورجاءه وتوكله واستعانته على إلهه الحق الذى لا إله سواه، وهى حقيقة التجريد والتفريد، فيتجرد عن عبادة ما سواه ويفرده وحده بالعبادة، فالتجريد نفى، والتفريد إثبات، ومجموعهما هو التوحيد، فهذا الفناء والبقاء، والولاء والبراء والمحو والإثبات والجمع والتجريد[٧٥].

ومن المعلوم أنه لا يلزم وجود الاتباع للمؤمنين فى أول وقت المواجهة بل اللازم وجودهم ولو بعد ذلك، ولا شك أنهم وُجدوا فيما بعد فيُحمل من معه عليهم، ويكون التبرى المحكى فى قوله تعالى:" **إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ** " إلى وقت وجودهم[٧٦].

تاسعاً: إعلان مبدأ الاعتزال

تمثل هذا الاعتزال في إعلان البراءة من الشرك والمشركين ورفض معبوداتهم، وقد كانت هذه البراءة براءة في العقيدة واعتزالاً لأجلها { **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي**} ، ففى بادىء الأمر اعتزلهم عليه السلام في العقيدة وخالطهم أهلاً وقرابة ودعوة، فلما لم يستجب له إلا اثنان منهما زوجته وابن أخيه اعتزل البقية وتبرأ هو ومن معه من أقرب أناسهم، إذ أصبح الاختيار الآن بين الله تعالى وبين هؤلاء وهم عدو له، فكان بهذا تدرجاً حتى في الاعتزال نفسه؛ فالاعتزال بدأ أولاً في العقيدة مع المخالطة ثم تطور إلى اعتزالهم والتبرؤ منهم، فجاءت مكافأته عليه السلام على هذه البراءة: " **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا** (٤٩) **وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** "[٧٧].

المطلب الثانى: منهجية التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه من عبدة النجوم والكواكب

عبد قوم إبراهيم عليه السلام الكواكب والنجوم وجعلوا لها وسائط لما رأوا أنه تغيب عن الأبصار، وتمثلت هذه الوسائط في جعلهم لكل كوكب صنما، ثم أقبلوا على عبادة هذه الأصنام وغرضهم من ذلك عبادة تلك الكواكب والتقرب منها، فبيان استحالة ربوبية تلك الكواكب ليست أوضح من استحالة ربوبية الأصنام لأن تقديم بطلان هيئة الأصنام على النحو الذى تنكره الآيات يساعد الأذهان على الترقى بالإدراك الخفى إلى الأخفى(٧٨).

لأجل ذلك استدرج إبراهيم عليه السلام قومه فأقام الدليل أولا على أن الكواكب والشمس والقمر لا يصلح شئ منها للألوهية، فإذا ما عرفوا ذلك ظهر لهم إبطال القول بعبادة الأصنام.

يقول الله عز وجل : " **وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**(٧٦) **فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ** (٧٧) **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** (٧٨) **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** " (٧٩).

ويتبين من الآيات السابقة أن الأسباب التى تدعو القوم للخضوع إلى هذه المعبودات هى: أولا: ظهورها ليلا عند اشتداد الظلام ، وثانيا : بزوغها بالنهار وشدة إضائتها، وثالثا: حجمها الهائل، ولهذه الأسباب مجتمعة تجعل من لا علم له ولا عقل يصدق أن لها سيطرة معينة على العالم بشكل عام وعلى البشر بشكل خاص، ويعد هذا قمة فى الذكاء من إبراهيم عليه السلام أن يتحدث معهم بهذا الأسلوب وهذا النسق العجيب.

ونستخلص من الآيات المنهج الدعوى المتدرج الذى اتبعه إبراهيم عليه السلام مع قومه فى عبدة الكواكب على هذا النحو:

أولاً: مجاراة الخصم

استمال إبراهيم آذان قومه فأخذ قلوبهم معه ليعلموا أنه غير متحامل عليهم من أول الأمر فيأخذ بأيدهم معه، ويسمى هذا فى الجدال (مجاراة الخصم) (٨٠).

فقد أراد إبراهيم استدراج قومه للوصول بهم إلى التوحيد؛ فبرهن على عدم استحقاق هذه الآلهة للعبادة، من خلال قوله: " **هُذَا رَبِّى** "، على سبيل التهكم، معدداً آلهتهم (الكواكب والقمر والشمس) والتى تتصف جميعها بالأفول، فالآلهة التى مصيرها الأفول متغيرة من حال إلى حال متنقلة من مكان إلى مكان فلا تستحق أن تعبد.

ثانيا: الشك فى المسلمات التقليدية

من أجل أن يقنع إبراهيم قومه بعقيدة التوحيد انطلق معهم فى هذا الحوار المفتوح، فعمد إلى الشك فى المسلمات التقليدية فى مجتمعه بتساؤله عن حقيقة تلك الكواكب التى تعبد من دون الله، فاستدرج قومه وأقام الاستدلال من خلال تلك الأسئلة المثيرة للعقل، إذ لما رأى كوكبا قال "**هُذَا رَبِّى** "، وهو لم يقل "**هُذَا رَبِّى** "على سبيل الإخبار، بل الغرض منه أنه كان يخاطب عبدة الكواكب وكان مذهبهم أن الكوكب ربهم وإلههم فذكر إبراهيم عليه السلام ذلك القول الذى قالوه بلفظهم وعبادتهم حتى يرجع إليه فيطلبه، ثم ذكر عقبه " **لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ** " أى أنه يشكك فى صلاحيته للربوبية لأنه آفل، ثم لما رأى القمر قال { **هُذَا رَبِّى** } حتى يشعرهم بأنه واحد منهم يبحث عن الحق، فلما أفل انتظروا منه جواباً وجوابه فى هذه المرة يثير الشك فى نفوسهم: " **لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ**"، وفى هذا تهيئة لنفوس قومه لما عزم عليه من التصريح بأن له ربا غير الكواكب، ثم عرض بقومه أنهم ضالون وهيأهم قبل المصارحة للعلم بأنهم ضالون(٨١).

ليدخل على نفوسهم الشك مرة أخرى فى معتقدهم أن يكون ضلالا، ويكونون قوماً ضالين، ولما رأى الشمس قال هذا ربى لأنه أكبر والأكثر إضاءة أولى باستحقاق الإلهية، وهذا حتى يهيئهم للجواب بعد أفول الشمس، وهو:" **إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**"، وهذا إقناع لهم بأن لا يحاولوا موافقته إياهم على ضلالهم، لأنه لما انتفى استحقاق الإلهية عن أعظم الكواكب التى عبدوها فقد انتفى عما دونها.

ثالثا: الاستدلال المنطقى

استدل عليه السلام بأفول الكواكب والقمر والشمس على أنه لا يجوز أن تكون أرباباً مستحقه لأن يشتغل المرء بعبادتها وشكرها، وغيبوبة الكوكب والقمر والشمس تدل على كونها عاجزة على الخلق والإيجاد وعدم استحقاق الإلهية؛ لأن شأن الإله أن يكون دائم المراقبة لتدبير شؤون عباده.

وبنى هذا الاستدلال على ما هو شائع عند القوم من كون أفول النجم مغيباً عن هذا العالم، يعنى أن ما يغيب لا يستحق أن يتخذ إلهاً؛ لأنه لا يغنى عن عباده فيما يحتاجونه حين مغيبه.

يقول الشهرستانى :" لقد أطلعه الله على ملكوت الكونين والعالمين تشريفا له على الروحانيات وهياكلها وترجيحاً لمذهب الحنفاء على مذهب الصابئة، وتقريراً أن الكمال فى الرجال، واستدل على ذلك بالأفول والزوال والتغيير والانتقال، على أنه لا يصلح أن يكون رباً إلها، فإن الإله القديم لا يتغير، وإذا تغير احتاج إلى مغير، هذا لو اعتقدتموه رباً قديما وإلها أزلياً، ولقد اعتقدتموه واسطة وقِبله وشفيعاً ووسيلة، فإن الأفُول (الزوال) يخرجه أيضا عن حد الكمال، وعلى هذا لم يستدل عليهم بالطلوع، وإن كان الطلوع أقرب إلى الحدوث من الأفول، فأتاهم الخليل من حيث تحيرهم فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته، وذلك أبلغ فى الاحتجاج، وقد بدأ بالسهل ثم تدرج، فمن الكواكب إلى القمر والنتيجة واحدة، فإن الموافقة فى العبارة على طريق الإلزام على الخصم من أبلغ الحجج وأوضح المناهج"[٨٢].

واعتمد إبراهيم إلى التدرج حتى فى ذكر الكوكب والانتقال بعدها إلى القمر ثم إلى الشمس التى هى أكبرهم، يؤكد الرازى " إن الأخذ من الأدون فالأدون مترقيا إلى الأعلى فالأعلى له نوع تأثير فى التقرير والبيان والتأكيد لا يحصل من غيره، فكان على هذا الوجه أولى"[٨٣].

رابعا: **إعلان الوصول إلى النتيجة**

يصل إبراهيم إلى الحجة المستنبطة من أحوال هذه الموجودات جميعاً وهو أن أُفولها دل على وجود صانع لها، فيصل إلى النتيجة الحتمية وهى: أن يعبد صانع السموات والأرض وأن لن يشاركهم فى شركهم " **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" [٨٤].

توصل إبراهيم من خلال هذه المقدمات المنطقية التى بناها على أساس المشاهدة والمساءلة إلى نتيجة حتمية وهى براءته من الشرك، وجوابه عليه السلام: " **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" يوحى بسؤال مفترض من القوم : وما تعبد؟ فيقدم سيدنا إبراهيم برهانه لقومه أنه يعبد الله وحده الذى خلق السموات والأرض.

لذلك كان وصف ضلالهم بالمبين؛ لأنه دليل على قوة فساد عقولهم حيث لم يفطنوا لضلالهم مع أنه منطقى كالمشهد المرئى.

ولو واجههم إبراهيم عليه السلام من أول الأمر بأن عبادتهم للكوكب باطلة لوقفوا فى وجهه من أول وهلة لسماع كلامه ورفضوا رفضا باتا ما يدعوهم إليه، ولكنه كان حاذقا فى أسلوب الاستدراج ماهراً فى استمالة أذهانهم للوصول إلى الحق(٨٥).

هذه المحاورة (محاورة إبراهيم عليه السلام لعبدة الكواكب) محاورة استدراجية، فلو صرح إبراهيم عليه السلام بالدعوة إلى الله أولا، لم يقبل منه ذلك، ولو سفه أفكارهم ومعتقداتهم ومعبوداتهم من أول الأمر لما استمعوا له.

لذلك فقد أظهر موافقته ومجاراته لهم فى ما هم عليه من عبادة ما دون الله – مع رفضه التام وكفره بهذه الآلهة – إلا أنه لجأ إلى استدراجهم بالاستماع إلى حجته وليتمكن من إقامة الأدلة على بطلان معتقداتهم، حتى عبر بقوله " **هَٰذَا رَبِّي** " حكاية لقول الخصم وافتراض الباطل ليستدل بعد ذلك على فساده " **لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**"

وهذا دليل على أن الدين مبنى على الدليل لا على التقليد وإلا لم يكن هناك فائدة لهذا الاستدلال، كما يدل على أن تحصيل معرفة الله تعالى طريقها النظر والاستدلال فى أحوال مخلوقاته، ولو واجه إبراهيم عليه السلام قومه ببطلان عبادتهم للكواكب لرفضوا دعوته رفضا تاما، ولكنه عليه السلام كان ماهراً فى استدراك أذهانهم للوصول إلى التوحيد.

وهذا التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام يدل على مدى حرصه على هداية أبيه وقومه وملك زمانه وفهمه لطبيعة المدعو، فعندما بدأ ابراهيم عليه السلام بدعوة أبيه ألزم نفسه باللين والرفق والتودد والاحترام، أما مع النمرود فقد ناظره بقوة وتحول معه من دليل إلى دليل حتى

أفحمه، واستدرج عبدة الكواكب بإظهاره موافقته على ما هم عليه ليتمكن من ذكر الأدلة على بطلان ما هم عليه ليصل بهم إلى الإيمان بالله والكفر بالكواكب.

أما عبدة الأصنام فقد دخل معهم فى حوار على شكل سؤال وجواب لاستدراجهم، ولم يؤذ أحدا ولم يتعرض لمخالفيه بأى شكل، والمقصد من تحطيم الأصنام أن يجتمع الناس كلهم فيقيم عليهم الحجة ببطلان ما هم عليه.

المبحث الثالث: الدروس الدعوية المستفادة من التدرج فى دعوة إبراهيم عليه السلام

أولا: ليكن أول ما يدعو إليه الداعية هو شهادة أن لا إله إلا الله وهذا فيه التدرج فى الدعوة، وهو أن يبدأ بالأهم فالمهم، وهذه طريقة الرسل أنهم أول ما يبدئون بالدعوة إلى التوحيد، وهذا ما فعله إبراهيم عليه السلام فى دعوته؛ لأنها الأصل والأساس الذى يبنى عليه الدين، فإذا تحققت شهادة أن لا إله إلا الله، فإنه يمكن البناء عليها بالأمور الأخرى، أما إذا لم تتحقق عقيدة التوحيد فلا فائدة من بقية الأمور، فلا نأمر الناس بصيام أو صدقة أو صلة أرحام وهم يشركون بالله، بل يجب وضع الأساس أولا.

هذا بخلاف كثير من دعاة اليوم الذين يهملون إقامة التوحيد فى نفوس الناس، وإنما يدعونهم إلى ترك الربا والتعامل بالمعاملات الحسنة وما إلى ذلك، وهؤلاء أتعبوا أنفسهم فعملهم لا ينفع حتى يحققوا الأصل والأساس الذى تبنى عليه أمور الدين، وهذا منهج إبراهيم عليه السلام " **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** " (٨٦). وكذلك منهج الأنبياء جميعاً: " **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**" (٨٧).

ثانيا: يجب على الداعية معرفة المدعوين والنظر فى حالهم ويخاطب كلاً منهم بحسب ما يليق به، فإن كان يخاطب علماء فإنه يخاطبهم بما يليق بهم، وإن كان يخاطب عواماً يخاطبهم بما يليق بهم، فالناس ليسوا على حد سواء، فلا يليق بالداعية مخاطبة العلماء بخطاب الجهال، ولا يليق بالداعية أن يخاطب السلاطين بخطاب عامة الناس أو العكس، بل كل يخاطبه بما يرى أنه أقرب إلى قبوله للحق.

ثالثا: ينبغى التنبيه على أنه لا يجوز للداعية أن يشارك المدعو فى بعض الأمور التى ربما تكون محرمة بحجة التدرج فى الدعوة مع المدعو، وبحجة الاقتداء بإبراهيم عليه السلام عندما قرر أن يدعى – استدراجاً لقومه- الإله كوكبا أو قمراً أو شمساً، فلم يكن يعنى أبداً أن الحق فى عبادة هذه الكواكب بقوله " **هَٰذَا رَبِّى**"، ولا مشاركتهم فى عبادتها؛ إنما كان يقصد إلى استدراجهم وإبطال حجتهم بالبرهان والحجة، وإشعارهم أنه واحد منهم يبحث عن الحق؛ تهيئة لنفوسهم لما عزم عليه من التصريح بأن له رباً غير الكواكب وإعلان التوحيد.

رابعا: ينبغى للداعية أن يعلم أن المدعوين أصناف وأقسام: منهم الملحد، ومنهم المشرك، ومنهم المتردد بين الإيمان والشرك، ومنهم أهل كتاب، ومنهم المنافق، كذلك ومنهم المسلم العاصى الذى يحتاج إلى التعليم والتوجيه، وهم كذلك يختلفون فى قدراتهم العقلية والعلمية، ومراكزهم الاجتماعية بين المثقف والأمى، والغنى والفقير، والرئيس والمرؤوس ، كذلك بينهم الأصحاء والمرضى؛ فينبغى للداعية أن يكون كالطبيب الحاذق الحكيم الذى يشخص المرض ويعرف الداء ويحدده و يتدرج فى إعطاء الدواء حسب حالة المريض والبيئة التى يعيش فيها.

خامسا: منهج الحق هو منهج التدرج الواقعى، فإبراهيم عليه السلام يخاطب قومه فى كل مرة بواقعية تتناسب مع عقلياتهم.

يقول د. عبد الحميد النجار:" وفى واقعية المنهج نعنى بها أن تكون الطريقة التى تقدم بها الموضوعات العقدية المستصحبة والمستجدة، طريقة مبنية على المعطيات الواقعية لعقليات المخاطبين؛ ضماناً فى ذلك ليكون الخطاب نافذاً إليهم مقنعاً لهم لا على أساس من أن الغاية هى الإقناع لشأن المنهج الخطابى، ولكن على أساس أن الغاية هى الإقناع للحق، فالقرآن الكريم بنى خطابه الإقناعى على أصول الواقع الكونى والإنسانى، وهو ما يبدو فى استخدام الآليات الكونية مقدمات فى الاستدلال على حقائق العقيدة، واستخدام العبر التاريخية باعتبارها وقائع إنسانية فى الإقناع بما يبشر به من تعاليم تتعلق بمصير الإنسان، وغاية وجوده، والانطلاق فى المصلحة العلمية للإنسان من حمله على التسليم بأسس العقيدة الإسلامية(٨٨).

سادسا: إن المدعوون هم العنصر الأساس من عناصر الدعوة إلى الله، ولم تُشرع الدعوة إلا لأجلهم؛ لذا يجب الاهتمام بدراسة حالاتهم والتصرف تجاهها بما يناسبها مما يقره الشرع الحنيف.

فمن العبث الدعوى إلقاء الكلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بدعوى التبليغ أو لمجرد الأمر والنهى دون النظر إلى حال المدعويين ومعرفة واقعهم، ففهم واقع المجتمع يمكن الداعية من تحديد عدة أشياء منها أمراض المجتمع على وجه التحديد، ثم من أين يبدأ العلاج وكيف يتدرج به، وما هو الأولى فى التقديم والتطبيق وفهم الواقع كذلك يساعد على تحديد كمية العلاج فى كل مرحلة من مراحل التدرج، لأن كل مرحلة تحتاج إلى فقه ونوع معين من أنواع العلاج، فالذى لا يفهم واقع المجتمع ولا يتفحص فيه قد يعطى المجتمع فى إحدى المراحل أكثر مما يجب أن يعطى له فيها، وقد يعطيه أقل مما يجب أن يعطى له فيه، وأما علاج كل مرحلة ونوعه فإنه يتحدد بواقع المجتمع وأفراده، فالمجتمعات متباينة فى عاداتها وتقاليدها، وفى درجة التمسك بهذه الموروثات والتقاليد، وتختلف كذلك فى درجة تمسكها بالدين والالتزام بتعاليمه(٨٩).

سابعا: إن مَن دعا غيره إلى الله تعالى، فإنه يُقدِّم الرفق على العنف، واللين على الغلظة، ولا يخوض في التعنيف ولا يتعرض لمخالفيه بالإهانة؛ وهكذا فعل إبراهيم عليه السلام في بداية دعوته لأبيه وقومه، حتى عنَّفهم بعد ذلك، وتحطيم الأصنام وتعليق الفأس على كبير الأصنام ليصدمهم بهذا المشهد على مرأى ومسمع من الجميع، فهذه الأصنام لا تملك الدفاع عن نفسها ولا يملك كبيرهم القدرة على قول الحقيقة؛ فيجتمع الناس كلهم ويقيم عليهم الحجة ببطلان ما هم عليه .

ثامنا: قد يواجَه الداعية ببعض المجادلات والمناظرات التي لا تهدف إلا إلى التعجيز وقلب الحقائق، وخاصة في خطابه مع التيارات الأخرى من علمانية وماركسية وشيوعية ممن لا يجدي معهم إلا المناظرة العقلية ومجابهة الدليل بدليل والحجة بحجة أقوى، فعلى الداعية أن يتسلح بسلاحهم ويعرف لغتهم حتى يستطيع أن يوصل فكرته ويدافع عن دعوته، وأن يبتعد عن اللجاج العقلي الذي يضيع الوقت ويوغر الصدور، مثل ما فعل سيدنا إبراهيم في المناظرة أمام الملك، فحينما رد النمرود على قول سيدنا إبراهيم بقوله "**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**"، لم يتمادَ إبراهيم في المحاجة والمجادلة مع إمكانية رده على هذه الحجة، ولكنه آثر الانتقال إلى حجة أكثر إفحاما، ودليل أكثر تعجيزا، لا يستطيع الملك أمامه إلا أن يُبهت وينقلب على عقبيه " **قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ".

تاسعا: بعد أن يبذل الداعية كل ما في وسعه لدعوة العاصين ويتدرج معهم ويحاول مرات ومرات، حتى إذا لم يتوبوا، فعليه أن يأخذ موقفا منهم، وأن يعتزلهم في معاصيهم، وها هو سيدنا إبراهيم بعد أن استنفد كل السبل والوسائل مع قومه يعلن اعتزالهم وتبرؤه مما يعبدون من دون الله " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (٩٠).

عاشرا: على الداعية التحلى بالصبر فلا يلزم وجود الاتباع المؤمنين فى أول وقت للدعوة، وعدم قبول الدعوة فى حينها ليست عنوانا لفشل الداعية؛ فقد تؤتى الدعوة ثمارها المرجوة ولو بعد حين، ولنا فى أنبيائنا جميعا عليهم السلام وفى رسولنا صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة فى ذلك

الخاتمة

وفى ختام هذا البحث، فإنى أحمد الله تعالى على توفيقه وفتحه وعونه حيث يسر لى – سبحانه وتعالى – إتمام هذا العمل، وحيث كان المرجع الأول والأساس هو القرآن الكريم.

وأستطيع القول بأنى خلصت إلى عدد من النتائج والتوصيات ومنها:-

١. الاهتمام بإعداد الدعاة إعداداً جيداً وتبصيرهم بفقه التدرج.

٢. وجوب انطلاق الداعية إلى الله عز وجل فى تأصيله الدعوى من خلال القرآن الكريم والسنة وتطبيقات الأنبياء عليهم السلام.

٣. التدرج فى الدعوة إلى الله من الأصول الظاهرة فى دعوة الأنبياء وخطاباتهم مع أقوامهم حسب حال المدعو ومكانته؛ لذا وجب النظر فى الأصول المرعية فى هذا الباب العظيم.

٤. البدء بالدعوة إلى التوحيد وتصحيح المفاهيم الباطلة فى أمور العقيدة أولا، والبدء بالأقرب فالأقرب.

٥. مراعاة أحوال المدعوين من حيث المستوى العلمى والعمرى، وتحديد الأولويات، وترتيب الاهتمامات، وضبط الجرعات الدعوية من حيث الكم والكيف.

٦. على الداعية استخدام كل الوسائل الممكنة لنشر دعوته، فنجد اليوم وسائل الإعلام المتعددة مثل الإذاعة والتلفزيون والصحافة والإنترنت والهاتف المحمول والمدونات وغيرها، فعلى دعاة الإسلام استخدام كل فرصة مناسبة مع اختيار الموضوع المناسب والأسلوب المناسب على حسب الفئة التى يخاطبها.

٧. مراعاة التدرج فى وضع المناهج الدعوية، مع الاهتمام بالترغيب واللين والرفق، واعتماد الحوار والمناقشة كمنهج دعوى لأن التعامل مع المسلمين إنما يكون بالرفق ومع المجادلين بالتى هى أحسن ومع الظالمين المتعدين بالحكمة، أى: اختيار الوسائل والأساليب الأنسب حسب القدرة والمصلحة العامة، بشرط موافقتها للشريعة الإسلامية.

٨ ـ اعتماد منهج التدرج فقهاً ونظاماً وتنسيقاً وذوقاً؛ لتحسين الأحوال الدينية لدى القاعدة العريضة من المسلمين، عن طريق هدم الأفكار والمعتقدات الضالة كالتواكل والسلبية وفقدان الانتماء للدين والوطن والكسل والانشغال باللهو واللعب إلى التدرج فى بناء العقيدة الصحيحة والمثل الإسلامية العلية، وبث روح الإيجابية والاعتزاز بالتراث الإسلامى العريق، وبيان عظمة الإسلام.

٩ ـ إن هدم الأفكار المنحرفة والعقائد الباطلة لا يتم إلا بقانون التدرج، كما أن بناء العقيدة الحقة وتكوين الجيل الربانى يحتاج إلى جهد وعمل ووعى وصبر وأناة.

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه..

هوامش البحث

(١) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٣) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٣.

(٥) لسان العرب : محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصارى، دار الصادر – بيروت، ط٣ ، ١٤١٤هـ ،ج ٢ ، ص ٣٨٣.

(٦) سورة المائدة : الآية ٤٨.

(٧) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، الناشر مجمع اللغة العربية– مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤م، ط ٤،مادة نهج، ج ٢ ،ص ٩٥٧.

(٨) المنهجية فى البحوث والدراسات الأدبية: بدوى محمد ،تونس _ دار الطباعة للمعارف والنشر ،ص٩

(٩) نفسه : نفس الصفحة.

(١٠) معجم مقياس اللغة : أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج ٢ ص ٢٧٥

(١١) سورة آل عمران: الآية ١٦٣ .

(١٢) سورة القلم: الآية ٤٤.

(١٣) لسان العرب : ج ١ ص ٩٦٣

(١٤) التدرج فى دعوة النبى صلى الله عليه وسلم الموضوع، الوسيلة، الأسلوب، المدعو : إبراهيم المطلق ، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود، كلية الدعوة والإعلام،١٤١٤هـ، ص ١٦

(١٥) سؤال وجواب حول فقه الواقع: محمد بن ناصر الدين الألبانى ، المكتبة الإسلامية، ١٤٢٤هـ، الطبعة الثانية ،ص٦٥.

(١٦) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، الناشر مجمع اللغة العربية– مكتبة الشروق الدولية (١/ ٢٨٦) ٢٠٠٤م، ط ٤، ج ١، ص٢٨٦

(١٧) لسان العرب : ابن منظور ج١، ص ٩٨٧

(١٨) سورة الأحقاف: الآية٣١.

(١٩) سورة الأحزاب: الآية ٤٦.

(٢٠) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢١) الدعوة إلى الله: خصائصها ومقوماتها ومناهجها(دراسة مقارنة) أبو المجد سيد نوفل،١٩٧٧م، ص ١٨،

(٢٢) مرشد الدعاة: محمد نمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ١، ص ٢٤

(٢٣) الرسول والعلم : د. يوسف القرضاوى ، دار الصحوة، ٢٠٠١م، القاهرة، ص ١٣٣

(٢٤) فقه التدرج فى التبليغ والتشريع فى ضوء السنة النبوية: د. محمد مدهير جابى، دكتوراه كلية العلوم الشرعية، جامعة المدينة العالمية،ص١٩.

(٢٥) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢٦) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢٧) سورة الفرقان: الآية ٣٢– ٣٣.

(٢٨) تفسير الرازى ٦٩/٢٤.

(٢٩) رواه البخارى فى كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن : (٦/ ١٢٢)، برقم : (٤٩٩٦).

(٣٠) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى:: أبو الحجر العسقلانى، ترقيم وتحديث محمد فؤاد عبد الباقى، مراجعة وإشراف محب الدين الخطيب، دار المعرفة ،بيروت ١٣٧٩هـ، ج ٩ ص ٤٠.

(٣١) الدعوة قواعد وأصول : جمعة أميم عبد العزيز ، الأسكندرية، دار الدعوة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م،الطبعة الرابعة، ص ١٧٩.

(٣٢) سورة الأنعام: الآية ٧٤.

(٣٣) مناهج أولى العزم من الرسل: د. عبد الوهاب عبد العاطى عبد الله ط ١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م ، ص ٨١.

(٣٤) سورة مريم: الآية ٤١–٤٧.

(٣٥) سورة مريم: الآية ٤٢.

(٣٦) تفسير الرازى: ج ٢١ ص ٢٥

(٣٧) تفسير البيضاوى ج ٤، ص ١٨

(٣٨) سورة مريم: الآية ٤٣.

(٣٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التفسير، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشرى جار الله، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ج ٣، ص ٢٢ بتصرف.

(٤٠) سورة مريم: الآية ٤٤.

(٤١) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور.، الدار التونسية للطباعة والنشر،ج١٢،ص ١٧٠.

(٤٢) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: لأبى الفضل شهاب الين السيد محمود الألوسى البغدادى ، واحياء التراث– بيروت ، ج ١٦ ص ٩٧ج ، ١٦ ص ١١٦بتصرف.

(٤٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبى السعود محمد بن محمد العمادى ، دار إحياء التراث العربى ،بيروت، ج ٥، ص ٢٦٧.

(٤٤) الكشاف: الزمخشرى ج ٣ ص ٢٢ بتصرف

(٤٥) سيرة إبراهيم عليه السلام فى القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة : هشام فهمى العرف، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤١٧– ١٩٩٦م، ص (٣٤– ٣٦) بتصرف.

(٤٦) الرازى: مفاتيح الغيب ، ص ٤٠٦ ج ١.

(٤٧) سورة مريم: الآية ٤٧–٤٨.

(٤٨) اللباب فى علوم الكتاب: عمرو بن عادل، الدمشقى، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود على محمد معوض، الطبعة الأولى، بيروت :،دار الكتب العلمية ١٩٩٨م ، ج ١١ ، ص ٨٦.

(٤٩) سورة مريم: الآية ٤٧.

(٥٠) الرازى : مفاتيح الغيب ج ١٠ ص ٤٧٣

(٥١) سورة التوبة: الآية ١١٤.

(٥٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٥٣) بدائع التفسير: ابن القيم ج٣ ص ٦٤: ٦٨.

(٥٤) فى أصول الحوار وتجديد علم الكلام : طه عبد الرحمن ، المركز الثقافى، الرباط ،المغرب، ٢٠٠٠م، ط ٢، ص ٧٤.

(٥٥) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٦٥

(٥٦) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ج ٣ ص ٣٣.

(٥٧) القصص القرآنى عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدى ، دار القلم ، الطبعة الأولى، ص ٣٣٨، ٣٣٩.

(٥٨) من لطائف التعبير القرآنى : د. فاضل صالح السامرائى ،دار عمار، الطبعة الأولى ،١٦٠و ١٦١.

(٥٩) مفتاح دار السعادة وولاية العلم والإدارة : محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى، دار الكتب العلمية ،ج ٢ ، ص ٢٠٤: ٢٠٧ بتصرف .

(٦٠) تفسير النسفى: عبد الله بن أحمد محمود النسفى، دار الكتاب العربى، بيروت – لبنان ج ١، ص ١٣٠.

(٦١) أدب الحوار فى الإسلام : محمد سيد طنطاوى دار نهضة مصر، الطبعة الأولى،١٩٩٧م.ص ٢٣.

(٦٢) سورة الزخرف: الآية ٢٢ –٢٣.

(٦٣) سورة الأنبياء: الآية ٥٢–٥٨.

(٦٤) سورة الصافات : الآية ٨٣–٩٣.

(٦٥) سورة الأنبياء: الآية ٥٥ .

(٦٦) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور.:ج١٧ ، ص٩٢.

(٦٧) التحرير والتنوير: الطاهر عاشور، ج ١٧ ص ٩٤.

(٦٨) خواطر حول القرآن الكريم : محمد متولى الشعراوى، أخبار اليوم ،ج٩ ،ص ٤٠.

(٦٩) الكشاف : الزمخشرى : ج ٤ ص ١٥.

(٧٠) التفسير الكبير: فخر الدين الرازى ج ٢٢، ص ١٨١

(٧١) سورة الأنبياء: الآية ٦٤– ٦٥.

(٧٢) الجدل فى القرآن الكريم خصائصه ودلالاته : يوسف العساكر، ٢٠٠٥ ص ١٢٤.

(٧٣) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

(٧٤) سورة الزخرف: الآية ٢٦.

(٧٥) مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله القيم ، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربى، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ج ١ ص ١٦٨.

(٧٦) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: الآلوسى، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينى أبو الثناء، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٧م ج ٢٠، ص ٤٥٥.

(٧٧) سورة مريم: الآية ٤٩–٥٠.

(٧٨) أصول الجدل وآداب المحاجات فى القرآن الكريم: محمد على نوح، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص ١٤٩.

(٧٩) سورة الأنعام: الآية ٧٥–٧٩.

(٨٠) خواطر الشعراوى: محمد متولى الشعراوى، مج ٦ ص ٣٧٥٤

(٨١) التحرير والتنوير. الطاهر بن عاشور ج ٧، ص ٣٢١و٣٢٢.

(٨٢) الملل والنحل : الشهرستانى : ج ٢، ص ٥٢و ٥٣.

(٨٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: فخر الدين الرازى، ج ١٣ ، ص ٦٠

(٨٤) سورة الأنعام: الآية ٧٩.

(٨٥) مناهج أولى العزم من الرسل فى تبليغ الدعوة : د. عبد الوهاب عبد العاطى عبد الله، دار الطباعة المحمدية ، ١٩٩١م، ص٩٨.

(٨٦) سورة الأنعام : الآية٧٩.

(٨٧) سورة النحل: الآية ٣٦ .

(٨٨) فقه التدين فهما وترتيلا: د. عبد المجيد النجار، مركز البحوث والمعلومات، سلسلة كتاب الأمة، الجزء الثالث، ص ٥٣– ٥٤.

(٨٩) فقه التدرج فى التشريع الإسلامى تطبيقا وفهما: معاوية أحمد سيد ص ٤٨. لسان العرب : محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصارى، دار الصادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ ،ج ٢، ص ٣٨٣.

(٩٠) سورة الزخرف: الآية ٢٦–٢٨.

المصادر والمراجع:

١. أدب الحوار فى الإسلام: محمد سيد طنطاوى، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى،١٩٩٧م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبى السعود محمد بن محمد العمادى، دار إحياء التراث العربى ــ بيروت.

٣. أصول الجدل وآداب المحاجات فى القرآن الكريم: محمد على نوح قوجيل، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ٢٠٠١م.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المعروف بتفسير البيضاوى): ناصر الدين أبى الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلى، دار إحياء التراث العربى، ومؤسسة التاريخ العربى ــ بيروت.

٥. بدائع التفسير: ابن القيم، جمعه: يسرى السيد محمد، راجعه: صالح أحمد الشافعى، دار ابن الجوزى.

٦. التحرير والتنوير: محمد الطاهر محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس،١٩٨٤.

٧. التدرج فى دعوة النبى صلى الله عليه وسلم: إبراهيم عبد الله المطلق، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود، كلية الدعوة والإعلام، ١٤١٤هـ.

٨. اللباب فى علوم الكتاب: ابن عادل، عمر بن على بن عادل الحنبلى أبو حفص، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٨م .

٩. تفسير النسفى: عبد الله بن أحمد محمود النسفى، دار الكتاب العربى، بيروت – لبنان ج ١، ص ١٣٠.

١٠. تفسير مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ ،٢٠٠١م .

١١. تفسير القرآن العظيم: اسماعيل بن عمر بن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.

١٢. الجدل فى القرآن الكريم خصائصه ودلالاته : يوسف العساكر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥م.

١٣. خواطر حول القرآن الكريم: محمد متولى الشعراوى، مطابع أخبار اليوم، القاهرة،١٩٩٧م.
١٤. الدعوة إلى الله تعالى خصائصها- مقوماتها- مناهجها(دراسة مقارنة):أبو المجد السيد نوفل،١٩٧٧.
١٥. الدعوة قواعد وأصول: جمعة أميم عبد العزيز، الاسكندرية، دار الدعوة، الطبعة الرابعة،١٤١٩هـ،١٩٩٩م.
١٦. الرسول والعلم: د. يوسف القرضاوى ،دار الصحوة،٢٠٠١م، مطبعة القاهرة.
١٧. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: الآلوسى، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينى أبو الثناء، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٧م .
١٨. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: لأبى الفضل شهاب الين السيد محمود الألوسى البغدادى، واحياء التراث- بيروت.
١٩. سؤال وجواب حول فقه الواقع: محمد بن ناصرالدين الألبانى ، المكتبة الإسلامية، ١٤٢٤هـ،الطبعة الثانية.
٢٠. سيرة إبراهيم عليه السلام فى القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة : هشام فهمى العرف، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤١٧- ١٩٩٦م.
٢١. صحيح البخارى: محمد بن إسماعيل البخارى، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت_ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.
٢٢. فتح البارى فى شرح صحيح البخارى:: أحم بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى، دار المعرفة، بيروت،١٣٧٩م،ترقيم وتحديث: محمد فؤاد عبدالباقى، إشراف محب الدين الخطيب.
٢٣. فقه التدرج فى التبليغ والتشريع فى ضوء السنة النبوية: د. محمد مدهير جابى، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الشرعية، جامعة المدينة العالمية.
٢٤. فقه التدرج فى التشريع الإسلامى تطبيقا وفهما: معاوية أحمد سيد أحمد، دار جامعة القرآن الكريم للطباعة والنشر،٢٠٠٤م.
٢٥. فقه التدين فهما وتنزيلا: د. عبد المجيد النجار، سلسلة كتاب الأمة، مركز البحوث والمعلومات، الجزء الأول،٢٠٠٥م.

٢٦. فى أصول الحوار وتجديد علم الكلام : طه عبد الرحمن ، المركز الثقافى، الرباط المغرب، ٢٠٠٠م، ط ٢، ص ٧٤.
٢٧. القصص القرآنى عرض وقائع وتحليل أحداث: د. صلاح الخالدى، دار القلم.
٢٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التفسير: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشرى جار الله،ج ٣، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثالثة،١٤٠٧هـ.
٢٩. لسان العرب: محم بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصارى الإفريقى، دار الصادر، بيروت، الطبعة الثالثة.
٣٠. مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله القيم، ط٢، بيروت د: دار الكتاب العربى، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.
٣١. مرشد الدعاة: محمد نمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
٣٢. المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، الناشر مجمع اللغة العربية– مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٠م، الطبعة الرابعة.
٣٣. المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، الناشر مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤م،
٣٤. معجم مقياس اللغة: أبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج ٢ ص ٢٧٥.
٣٥. مفتاح دار السعادة وولاية العلم والإدارة : محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى، دار الكتب العلمية ج ٢، ص ٢٠٤: ٢٠٧ بتصرف.
٣٦. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستانى أبو الفتح، تحقيق: أحمد فهمى محمد، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ،١٩٩٢م.
٣٧. من لطائف التعبير القرآنى: د. فاضل صالح السامرائى، دار عمار، الطبعة الأولى.
٣٨. مناهج أولى العزم من الرسل: د. عبد الوهاب عبد العاطى عبد الله ط ١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٣٩. مناهج أولى العزم من الرسل: د. عبد الوهاب عبد العاطى عبد الله، دار الطباعة المحمدية،١٩٩١م.
٤٠. المنهجية فى البحوث والدراسات الأدبية: بدوى محمد، تونس، دار الطباعة للمعارف والنشر، سوسة، تونس، ١٩٩٨م.